في هذه الأثناء، تطلب السلطات الليبرية من المهاجرين الأميركيين مغادرة البلاد، لمضي سنتين عليهم، دون أن يطلبوا الجنسية الليبرية، وتعطيهم اسبوعاً واحداً فقط لتدبير اجراءات المغادرة.

لم يكن أمامهم سوى العودة إلى شيكاغو، أو الهجرة إلى اسرائيل، فيتوجهون إلى تل – أبيب. وتتكرر المشكلة. وكحل وسط، ومؤقت، يؤخذون إلى مستوطنة ديمونا في جنوب اسرائيل. ومعهم تبدأ رحلة الاقناع «بالتحـــول إلى اليـهوديـــة». وهذا يثير استغرابهم: طالما أنهم يهود فلماذا التحول؟ والتحول من ماذا أَلى ماذا؟ اضافة إلى الكثير من التساؤلات التي تتركهم في حيرة من أمرهم. خاصة بعد ملاحظتهم للاختلافات الواضحة بين طقوسهم وطقوس اليهود في اسرائيل. وهنا يشير الكاتب إلى صعوبة اثبات يهودية من بشرتهم سوداء أو ملونة، وسهولة ذلك أمام الرجل الأبيض! الحكومة الاسرائيلية تمنحهم حقوق المهاجرين. لكنها ترفض أن تعطيهم ذلك بشكل دائم، ما لم يثبتوا صدق تحدرهم اليهودي.

ومن الفصل السابع حتى الفصل التاسع، يسرد المؤلف رؤايات مثيرة عن المشكلات التي واجهوها أثناء إقامتهم في المستوطنة، والطرق التي تحايلوا بها على القوانين الاسرائيلية لجلب المزيد من المهاجرين السود الذين يصرّون على يهوديتهم. وهنا يسترسل الكاتب في اعطاء صور حية عن واقع المستوطنات، ويلقي بعض الضوء على الحياة داخل الكيان الصهيوني، وعلى العلاقة التي نشأت بين «المهاجرين» الجدد والمقيمين القدامى. أما الفصل الأخير فيفرده المؤلف لمعالجة «هوية اليهـودي الأسود»، وخصـوصاً في الولايات المتحدة، حيث أن كون المرء أسود، هو في «حد ذاته مشكلة»، حيث يعاني السود هناك. ولما يزيد على أربعة قرون، صنوفاً متعددة من الاضطهاد. أما إذا كنت أسود وعبرياً في الوقت ذاته «فإن المشكلات تتعقد». والاضطهاد يصبح مركباً. ولعل هذا الفصل يلخص المشكلة، ويكشف جذورها، حيث أن **الاضطهاد كان السبب الحقيقي وراء التفكير الذي ساد المجموعة**. على ان المؤلف لا يترك الأمر عند هذا الحد، بل يستخدم ذلك كمدخل لمناقشة موضوع العبودية برمته، وفي اميركا على وجـه الخصوص، واختلاف ظروف العبودية بين البيض والسود. ويشير إلى أن الحرب الأهلية الأميركية، ونتائجهـا، لم تقتلع بـالسهولـة المتصورة قيم العبودية، سواء في نفوس ملاّك العبيد، أو في نفوس من امتهنوا تجارة الرقيق، بل حتى في سلوك «العبيد» ذاته، حيث استمرت تلك القيم التي حفرتها مئات السنين، رغم صدور قوانين تحـريم العبودية في الولايات المتحدة.

وينهي المؤلف الفصل والكتاب، بالاشارة إلى بقاء المجموعات في اسرائيل، قائلاً: «وبغض النظر عما إذا تخلى السود العبرانيون عن سيادة التعبيرات التي أصبحوا عبيداً لها، واستعادوا هوية اليهود السود... وبغض النظر عما إذا بقوا في اسرائيل أو غادروها... وهذه جميعاً احتمالات واردة، وغير معروفة، فإنهم بدون شك، وما لم يتحولوا إلى اليهوديـة، فإن مصيـرهم في اسرائيـل سيبقى مهزوزاً، وغـير مضمون العواقب...»

□ □ □

من ناحية الاسلوب، ومنهج التعاطي مع الظاهرة، فقد نجح المؤلف في حياكة نسيج قصصي رائع بدون شك، مغطى بغشاء من الخلفيات التاريخية، والصور الميدانية، التي اكسبت النص حيوية، وأمدته بعناصر التشويق والاثارة، دون الاقلال بالموضوعية، ولا بالسياق الجدّي لحركة الظاهرة. ومن جهة ثانية، أظهر المؤلف اطلاعاً واسعاً على تاريخ الحركة اليهودية، وكذلك الديانة اليهودية، واستطاع أن يوصل ذلك إلى القارىء عبر الحوارات التي جرت بين الأطراف والشخصيات المختلفة داخل الرواية – التحقيق الصحافي.

هذه الخلفية، طعمها الكاتب بالمعلومات التي استقاها من الاتصال المباشر مع المهاجرين، ومع من احتك بهم من المسؤولين في الدول المعنية فأكسب الخلفية نكهة خاصة، جمعت بين التاريخ الماضي، والواقع المعاش. ورغم كل هذه الايجابيات، لا ينبغي إغفال بعض المآخذ على الكتاب وأبرزها انحيازه الواضح إلى جانب دولة اسرائيل، سواء عند رسم معـالم الصراع الـذي دار بين المهـاجرين وسلطـات الكيان